تحديات التنشئة الاجتماعية: نظرة سريعة

Challenges of education: a brief overview

رانيا الزهراني Rania Alzahrani

البريد الإلكتروني: r.lo0otus@gmail.com

الأسرة هي نواة المجتمع وأُسسه، بصلاحيها يصلح وبفسادها يفسد. وهي المؤسسة الاجتماعية الأولى المناط بها مسؤولية تربية الأبناء ورعايتهم، وتنمية قدراتهم في تحمل المسؤوليات، وتوعيتهم بكيفية التعامل مع متطلبات الحياة المختلفة، الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، إلخ. وتُعد التنشئة الاجتماعية من أهم وأصعب الأدوار المنوطة بالأسرة لتنشئة جيل واعٍ ومتقّف، ومدرِك لما حوله من تغيرات وسلوكيات وقيم، وقادرٍ على التمييز بين ما هو نافع وما هو ضار.

ويقصد بالتنشئة الاجتماعية تعليم النشء وتربيته من خلالها تأطير السلوك الاجتماعي للطفل وترسيخه، ليتمكن من التأقلم ومسايرة المجتمع الذي يكبر فيه ويتعايش معه ⁽¹⁾. وتكمن أهمية التنشئة الاجتماعية في أنها تُكسب الطفل أنماطاً معينة من السلوك الذي يمكنه من الاستقلال الذاتي والاعتماد على النفس، بالإضافة إلى تعليمه أساليب التفاعل المثمر والعلاقة السوية مع الآخرين، وإدراك القيم السائدة في المجتمع والالتزام بها، ومعرفة عادات المجتمع وتقاليد، وممارستها بشكل طبيعي في أمور حياته المختلفة، والاضطلاع بالعديد من الأدوار والمسؤوليات التي تقع على عاتقه مستقبلاً، كالأبوة (إن كان ذكراً) والأمومة (إن كانت أنثى)، أو أي دور وظيفي آخر يؤديه ضمن سياق تفاعلي إيجابي مع المحيطين به ⁽²⁾.

ونظراً للأهمية البالغة التي تؤديها التنشئة الاجتماعية في صقل حياة الفرد وسلوكه الاجتماعي، أود تسليط الضوء هنا على بعض العوامل التي تؤثر سلباً على التنشئة الاجتماعية في المجتمعات العربية عامة والمجتمع السعودي خاصة، وهي:

- **الاعتماد المفرط على العاملة المنزلية:** تعرضت الأسرة السعودية خلال العقود الأخيرة إلى تغيرات اجتماعية واقتصادية كثيرة، نتيجة الاعتماد الكبير على العاملات المنزلية في تدبير معظم شؤون الأسرة، بما في ذلك اتخاذ دور الأم في عملية التنشئة الاجتماعية، مما نجم عنه مشاكل جمة انعكست سلباً على سلوكيات كثير من الأطفال، وعلاقاتهم بذويهم ومجتمعاتهم ⁽³⁾. فقد بلغ عدد العمالة المنزلية في السعودية بنهاية الربع الأول من العام الجاري، 2019، نحو 2.863 مليون عامل، بزيادة قدرها 14.3 بالمئة عن عددهم نهاية العام الماضي،

المُقدّر بحوالي 2.455 مليون عامل منزلي⁽⁴⁾. وفي دراسة استطلاعية أجريت عام 2017 لسبر مدى تأثير العمالة المنزلية على الأسر السعودية⁽⁵⁾، تبين أن ما يقارب 27 بالمئة من الأسر المشمولة بالدراسة أقرت بوجود تأثير سلبي للعامل المنزلية على تربية الأطفال، وحوالي 74 بالمئة أقرت بازدياد النفقات المالية بوجودها. ونظراً لكون الأطفال هم الفئة العمرية الأكثر حساسية وتأثراً خلال سني نشأتهم الأولى، فلا بد من إيلاء هذه المسألة مزيداً من الاهتمام، لأنها تؤثر بشكل مباشر وغير مباشر على توجهاتهم وسلوكهم حاضراً ومستقبلاً.

- **وسائل الاتصال الحديثة:** الحوار المشوب بالاحترام هو أحد أهم طرق التواصل الاجتماعي البناء بين أفراد الأسرة الواحدة من جهة، وبين أفراد الأسرة والمجتمع المحيط بهم من جهة أخرى. ولكن، بعد الانتشار السريع والواسع لوسائل الاتصال الحديثة (هاتف وتلفاز وإنترنت...)، برزت معوقات كثيرة تمنع ذلك الحوار وتؤثر عليه سلباً، وعلى سلوك الأبناء وعلاقتهم مع آبائهم وأقرانهم، كإهمال الواجبات الأسرية مثلاً والأنشطة المدرسية والمناسبات الاجتماعية، وانخفاض المردود الدراسي للطلاب بسبب الإدمان المكثف على استخدام تلك الوسائل، والاعتماد على التواصل الافتراضي عبر الإنترنت بدلاً من المحادثة المباشرة وجهاً لوجه⁽⁶⁾، وما ينجم عن ذلك من عزلة وانطواء واضطرابات نفسية وجسدية كثيرة.

- **النزعة المادية والاستهلاكية:** تطغى النزعة المادية على كثير من أفراد المجتمعات الإنسانية باختلاف مشاربهم وأعمارهم وأجناسهم، وتدفعهم نحو الاهتمام بالمظاهر والاستهلاك على حساب القيم والمضامين المعنوية والأخلاقية، وأصبحت مكانة الفرد كثيراً ما تُقاس بمقدار ما يمتلك من مال ومواد وأدوات حديثة، فانعكس ذلك سلباً على أساليب التربية الاجتماعية وتنشئة الأجيال. وكثيراً ما يستجيب الآباء إلى المتطلبات المادية لأبنائهم، على الرغم من عدم اقتناعهم بأهميتها، بشراء بعض الحاجيات غير الضرورية مثلاً، تعبيراً عن العطف والحنان عليهم أو تعويضاً عن انشغالهم عنهم، مبررين ذلك برغبتهم بعدم إظهار أبنائهم في مظاهر أو مستويات مادية أقل من أقرانهم، مما يرسخ النزعة الاستهلاكية والنظرة المادية للأشياء لدى الأبناء أكثر فأكثر، نتيجة وقوع الآباء ضحية ضغوط اجتماعية تلعب دوراً سلبياً كبيراً في تكريس السلوك الاستهلاكي والمادي لدى الأبناء⁽⁷⁾.

وتلعب نظرية الأدوار الاجتماعية، التي تستند إلى المكانة الاجتماعية ووظيفة الفرد فيها، دوراً في تفسير بعض الأنماط السلوكية للفرد في التنشئة الاجتماعية وعلاقته مع الآخرين. وتتص هذه النظرية باختصار على أن قيم المجتمع ومعايير تلعب دوراً مهماً في تحديد أداء الفرد لدوره، وأن أداء هذا الدور، هو نتاج التنشئة الاجتماعية والدور الوظيفي المنوط بالفرد⁽⁸⁾.

وبناءً على ذلك، يمكن القول إن الأسرة كمؤسسة اجتماعية هي الوحدة الأساسية في تكوين شخصية الفرد وإشباع حاجاته النفسية والجسدية والاجتماعية، ولها الأثر الأكبر في تنشئة الأبناء، وصقل مواهبهم وشحن بصيرتهم بقواعد

السلوك والآداب السائدة في المجتمع. وقد يؤدي الخلل في وظائف الأسرة إلى خلل في سلوك الأبناء في تأدية أدوارهم. والعكس صحيح أيضاً، فقد يؤدي الخلل في وظائف الفرد إلى خلل في وظائف الأسرة، ثم المجتمع ككل إن كان الخلل على نطاق واسع. لذلك، على الأسرة أن تحرص على تربية أبنائها بشكل صحيح، وأن تحتفظ على العوامل التي قد تؤثر على دورها في تنشئة أبنائها تنشئة اجتماعية سليمة، بما يتوافق مع القواعد السلوكية والاجتماعية السائدة في المجتمع، والمساهمة في الحفاظ عليهم نفسياً وجسدياً وعدم انزلاقهم في متهات سلوكية منحرفة، ومادية مفرطة تؤثر على مستقبلهم وتحصيلهم الدراسي واندماجهم في المجتمع بشكل فعال ومنتج.

References

مراجع

- (1) ابراهيم، سامية خالد (2018)، "الأسرة - مقارنة نفسية اجتماعية"، المركز العربي للنشر والتوزيع.
- (2) محمد، ناهد (2010) "حقوق الطفل في الإسلام من المنظور النفسي الاجتماعي"، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، مصر.
- (3) الفريخ، سمر (2011) "العمالة المنزلية الأجنبية في المجتمع السعودي: أسبابها وآثارها من وجهة نظر موظفات جامعة الإمام محمد"، قسم علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام الإسلامية، الرياض، السعودية.
- (4) "ارتفاع العمالة المنزلية في المملكة 14.3 % خلال الربع الأول"، جريدة العرب الاقتصادية الدولية www.aleqt.com/2019/06/05/article_1611872.html تاريخ الاطلاع 10 ديسمبر/كانون الأول 2019.
- (5) "العمالة المنزلية ترهق ميزانية الأسرة وتؤثر على الأطفال"، صحيفة تواصل الإلكترونية (9 أغسطس/آب، 2017) <https://twasul.info/876405> تاريخ الاطلاع 10 ديسمبر/كانون الأول 2019.
- (6) الأحمرى، فاطمة (2016) "أثر وسائل الاتصال الحديثة على الحوار الأسري: الهاتف الجوال والشبكة العنكبوتية (الانترنت)"، رسالة ماجستير، الدراسات الاجتماعية. الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية.
- (7) الخطيب، سلوى (2018) "المجتمع السعودي بين الأمس واليوم" ط1، مكتبة الشقري، الرياض، السعودية.
- (8) العمري، إسراء (2016) "دور التنشئة الاجتماعية في تشكيل الهوية الشخصية للأبناء بالمجتمع السعودي من منظور الخدمة الاجتماعية" رسالة ماجستير. قسم الدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية.